

دراسة توثيقية للمعلم النوميدي "امدغاسن" بالشرق الجزائري  
A documentary study of the Numidian Monument "Amdghasen"  
in eastern Algeria

د. نادية عون<sup>\*1</sup>

<sup>1</sup> كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة طاهري محمد بشار(الجزائر)، nadia.aoun@univ-bechar.dz

تاريخ النشر: 2022/12/25

تاريخ الاستلام: 2022/06/22

**ملخص:**

تتناول هذه الدراسة مظهرا من مظاهر العمارة الملكية النوميديّة التي اعتبرها البعض معزولة من المعالم الأثرية القديمة في منطقة هامشية من عالم البحر الأبيض المتوسط القديم، كون التراث الروماني الهائل حجب عليها، ولكن جودتها المعمارية وأبعادها الضخمة جعلها مرئية تظهر من بعيد، وبالتالي تُعد الاضرحة أهم المعالم الباقية من العمارة النوميديّة والتي حافظت على حالاتها الأصلية، وقد وصلت بعض النماذج منها إلى مستوى فني رفيع، ولعلّ من أهمها وأقدمها نجد ضريح "امدغاسن" بولاية "باتنة" في منطقة الأوراس الجزائرية، وتكمن أهمية هذا الضريح أنه يحتوي على عناصر معمارية هلنستية غير مسبوقة في الهندسة المعمارية لعالم غرب البحر الأبيض المتوسط في ذلك الوقت. كلمات مفتاحية: المعلم الاثري، النوميدي، امدغاسن، الشرق الجزائري.

**Abstract:**

This study deals with an aspect of the royal Numidian architecture which some considered from ancient monuments in a peripheral region of the ancient Mediterranean world. This is due to the enormous Roman heritage that obscured it. But its architectural quality and huge dimensions made it visible from afar. Thus, the mausoleums are considered as the most important remaining monuments of the Numidian architecture, the monuments that have preserved their original states.

And some of the models have reached a high artistic level. Perhaps among the most important and oldest ones is the tomb of the Madghacen in "Batna"; a city in the Aures region of Algeria. The importance of this mausoleum lies in the fact that it contains Hellenistic architectural elements unprecedented in the architecture of the western Mediterranean world at that time.

**Keywords:** The archaeological landmark; the Numidians; the Madghacene; The Algerian East.

## 1. مقدمة:

اظهر سكان بلاد المغرب القديم، منذ فترة فجر التاريخ إلى غاية نهاية الفترة القديمة، اهتماماً كبيراً بالبناءات الجنائزية التي عرفت تطوراً وتنوعاً كبيرين خاصة مع ظهور الممالك الوطنية (النوميديّة والموريتانية)، حيث قام الملوك المحليون ببناء معالم ذات مقاييس ضخمة وهندسة متنوعة، وتعتبر هي ما تبقى اليوم من آثار تشهد على تاريخ الشعوب الأمازيغية في الفترة القديمة.

لقد شملت هذه الدراسة موقعاً أثرياً مميّزاً في الشرق الجزائري عموماً، ومنطقة الأوراس خصوصاً التي شهدت استقراراً بشرياً واسعاً، حيث انتشرت آثار العمارة الجنائزية بأشكال مختلفة، من قبور أو أضرحة، وهذا ما يؤكد تطور النظام الاجتماعي والرقى الحضاري ونمو الوعي الروحي، ولعلّ من أبرز تلك المعالم الأثرية الهامة ، يوجد ضريح " امدغاسن" الذي بُني على نموذج البازينا في ولاية "باتنة" بمنطقة الأوراس الجزائرية، وقد دفعني الفضول للخوض في هذا الموضوع بهدف التعرف على الضريح الملكي باعتباره معلماً تاريخياً يشكّل جزءاً لا يتجزأ من تراثنا الحضاري القديم، وكذلك تحسيس القارئ بأهميته ووجوب الحفاظ عليه، والبحث عن أصوله وتطور عناصره الفنية المعمارية والسعي إلى إبراز بأنه معلم أثري أفريقي مبني بطراز محلي، وهكذا نسعى إلى تنفيذ آراء بعض الباحثين سيما هؤلاء الذين ينتمون إلى المدرسة الاستعمارية والذين جرّدوا " امدغاسن" من أصالته وهويته الحقيقية حيث أخذوا يبحثون عن نسب يربطه بالإغريق أو بقرطاجة، وجاء من سار على نهجهم إما لقلّة انتباه أو عدم اكتراث أو حتى بنية مقصودة ، لتأكيد الفرضيات الاستعمارية التي دائما تسعى إلى محو كل ما هو محلي وارتباطه بالأجنبي، كأن هذا البلد بلدا شاعرا ليس له حضارة ولا ثقافة ولا حتى أصالة، وعلى هذا الأساس، سنحاول من خلال دراستنا هذه الوقوف على نقاط أساسية متعلقة

بهذا المعلم الأثري، بدءاً بالإشارة إلى الدراسات السابقة والأبحاث الأثرية، ثم تحديد الإطار الجغرافي للضريح وإبراز الطابع المعماري له موضّحين التأثيرات الأجنبية فيه.

## 2. الدراسات السابقة والأبحاث الأثرية:

لقد قطع البحث الأثري في مجال البنايات الجنائزية أشواطاً هامة خلال الفترة الاستعمارية وما بعد الاستقلال، إذ تميز هذا القرن ببروز فئة واسعة من الباحثين الأوروبيين، اهتموا بدراسة المباني الجنائزية، إذ لم تقتصر حفرياتهم وأبحاثهم على الأضرحة الكبرى فحسب، بل شملت معظم المدافن القديمة على اختلاف أنواعها وأشكالها (رابح، 2007، صفحة 09)، فكان ضريح "امدغاسن" محل آراء واستنتاجات متأثرة بالأفكار والرؤى المواكبة للتوسع الفرنسي في إفريقيا الشمالية التي اكتشف فيها هؤلاء ثراء التاريخ الذي افتقده في بلدهم الأم، فكان هاجس روما دائماً وراء كل تحركاتهم وكتابتاتهم مع أن المعلم لا يلي رغباتهم لأنه يحمل هوية البلاد وفنّها المعماري الأصيل (عقون، 2011، صفحة 204).

لم تتوقف الدراسات الأثرية بمجرد نهاية الوجود الفرنسي، بل تواصلت طيلة العشرينات الثلاثة بعد الاستقلال، حيث شكّلت سنوات السبعينات في الجزائر مرحلة حاسمة خُطت فيها التنقيبات الأثرية في مجال المباني الجنائزية خطوات هامة، ففي خلال فترة وجيزة استطاعت المصالح الأثرية المحلية بالتعاون مع بعثات أوروبية مختصة، أن تدرس ميدانياً عدد هام من الأضرحة، كضريح "امدغاسن" الذي أُستفاد من أشغال هامة استهدفت ترميمه وصيانته (رابح، 2007، صفحة 09).

ولعلّ أهم الدراسات التي لفتت انتباهي لهذا المعلم، دراسة الباحث الفرنسي غبريال كامس (Camps, 1973, pp. 470-517) في مقاله العلمي المعنون بـ "ملاحظات جديدة على عمارة وعصر الضريح الملكي النوميدي الممدغاسن"، حيث فادتنا هذه الدراسة في إعطاء صورة واضحة لهذا المعلم الذي تفحصه من خلال ثلاث زيارات له من سنة 1969 إلى 1970، كما أشار من خلال عمله هذا إلى دراسات أخرى عديدة تعود إلى سنة

1849 و1850 التي تمّت من قبل قادة عسكريين الذين يدين لهم علم الآثار الجزائري بالكثير، فقد وصفوا "امدغاسن" واكتشفوا حقائق حوله إثر تنقيباتهم، فكانت أول الأعمال تلك التي كلّف بها الكولونيل كاربوتشيا (Carbuccia) الضابط كولينو (Collineau) الذي اكتشف أحد مداخل المعلم من الناحية المخروطية الأعلى في الدرجة الثالثة معتقداً أنه قد اكتشف قبو الدفن، ولكن تبين أن هذا المدخل مجرد درج يتيح الوصول إلى الرواق الداخلي، وبعد بضع سنوات قدّم المهندس المعماري بيكر (Pecker) في عام 1854 وصفاً دقيقاً لضريح امدغاسن، بحيث صحّح الأخطاء التي وقع فيها بايسونيل (Peyssonnel) من حيث الأبعاد، كما انتقد العمل الذي تم تنفيذه بأمر كاربوتشيا، وهكذا تعتبر دراسة بيكر حسب كامس الأهم، حيث برّر ذلك كونه الأول والوحيد الذي اكتشف وجود أبواب وهمية في الشكل المماثل للطراز المصري، كما يعتبره الوحيد خلال القرن 19 م الذي عرف بدقة عدد درجات الجزء العلوي المخروطي للضريح والتي قدر عددها ب 23 درجة وليس 24 كما ذهب البعض.

لقد تم تكملة دراسة بيكر من قبل الضابط فوي (Foy) الذي شبّه "امدغاسن" بالضريح المبني للزعيم الأفريقي "اراديون" بعد قتله من طرف الإمبراطور الروماني "بروبوس"، وقد تميّز هذا الضريح بالبساطة المعمارية كونه تم بناءه من قبل أفراد الجيش الذين يفتقرون للمهارة، ولكن أعدادهم وفيرة، ولم تقتصر دراسة "فوي" على هذه الفرضية غير المحتملة، فقد اعتبرت دراسته حسب "كامس" المصدر الهام لكل من جاء بعده أمثال برونو (Bruno) و كاهين (Kahen) وتيسو (Tissot) وغزال (Gsell) الذين اهتموا بدراسة هذا الضريح (Camps, 1973, pp. 475-476).

تواصلت الدراسات، ففي عام 1873 جرت حفريات تحت مراقبة لجنة مُعيّنة من قبل الجمعية الأثرية لعمّالة قسنطينة، وتعتبر هذه الحفريات عملاً علمياً حقيقياً، لأن الأعمال السابقة ما هي إلا تحريات بسيطة، وقد تمكّن مهندس الأشغال " بوشتي (Beauchetet) بمن معه من العمال وما يمتلكه من عتاد من الوصول إلى السرداب

الأوسط عبر رواق يتم الدخول إليه من خلال السلم الذي كان قد اكتشفه "كولينو"، قام "بوشتي" بحفريات في التيميلوس المجاورة للضريح، وقد استنتج بأن الأروقة الفجّة داخل الضريح من عمل أشخاص يبحثون عن الكنوز خاصة وأن الضريح خالٍ من أي أثاث جنائزي، ممّا يدل على أنه كان محل نهب منذ فترة قديمة جدا، وقد أشار العديد من المهتمين منذ 1893 إلى تعرض الجهة التي تم الدخول منها إلى الانهدام، ولم يتجرأ أحد بعد ذلك بالدخول خوفا من انهيار الضريح الذي يتطلب إقامة دعائمات من الداخل تحفظ القسم المخروطي من الوقوع (عقون، 2011، الصفحات 207-208).

ملحق (رقم 1): صورة توضح فجوة كبيرة في القسم المخروطي للضريح جراء النهب



(رايح، 2007، صفحة 297)

وهكذا منذ حفريات "بوشتي" لم يغامر أحد بالبحث فيه، ما عدا الدراسة التكميلية التي ذكرها لنا الباحث "كامس" والتي قام بها "موليني فيول" (Molinier-Violle) الذي اكتفى بدراسة وصفية للنقوش والرسومات التي تظهر في بعض الأقسام الخارجية للضريح، ولا ننسى دور "بايان" (Payan) و "موجال" (Mougel) و "مليكس" (Melix) و "مرسي" (Mercier) و "تيسو" (Tissot) و "قزال" (Gsell) و فروبينوس (Frobenius)، ولعلّ آخر دراسة عن المعلم هي دراسة بامار (Pamart) (Camps, 1973, p. 478).

## 3- الإطار الجغرافي للضريح وأصل التسمية:

## 1.3 - الموقع:

يقع الضريح النوميدي "امدغاسن" بالشرق الجزائري في ضواحي باتنة، بين منطقة عين الياقوت والمعذر بمنطقة الأوراس، يمتد على ارتفاع 20 متر بين جبل العزم وجبل تافراوت، يبعد بأقل من 100 كلم عن قسنطينة و40 كلم عن باتنة (Camps, 1973, p. 470)، يسمح كبر حجمه برؤيته من بعيد، فقد شُيّد على هضبة منخفضة تقع بالقرب من جبال الأوراس وتشرف على بحيرة جندلي المسماة قديماً بالبحيرة الملكية (-Lacus Regius)، ويحيط بهذا المعلم مقبرة قديمة، تبلغ مساحتها 2 كلم مربع، اندثرت معظم جثواتها (راجع، 2007، صفحة 67)، لقد انفردت منطقة امدغاسن بأراضيها السهلية وقلّة مرتفعاتها ومناخها المضطرب، ممّا جعلها عرضة لبعض التفاعلات الطبيعية كالتعرية والتساقط وتغير في درجة الحرارة، كما يتميز هذا الموقع بوجود نوعين رئيسيين من الصخور هما: الجيري والحجر الرملي اللذان يتميزان بسهولة التكسير، ممّا شكلا المادة الخام لبناء الضريح والمقبرة المحيطة به (راجع، 2007، صفحة 67).

## 2.3- أصل التسمية:

يستمد هذا المعلم اسمه الحالي من أحد الأسلاف الأسطوريين للبربر وهو "مادغوس"، فقد تساءل البعض إذا كان هذا الأمير الذي شُيّد له هذا الضريح يبسط نفوذه على مملكة حقيقية تغطي الشرق الجزائري والغرب التونسي التي يحق لنا أن نسميها المملكة الماسيلية، أو على الأقل فَرَضَ قوته في معارك مظفرة عديدة، أم أنه حكم لفترة وجيزة ولم يطل الحال بسلالته (كامس، 2010، الصفحات 146-174)، لقد تم ذكر مصطلح "مادغوس" خلال القرن الحادي عشر ميلادي من قبل المؤرخ عبيد الله البكري في طريق سير رحلته من القيروان إلى قلعة بني حماد ويقول: «إلى الغرب من بغاي (Baghai) يوجد قبر مادغوس (Madghus)» (El-Bekri, 1965, p. 107)، واسم "مادغوس" هو الاسم المعرّب "مادغيس" وقد أشار إليه المؤرخ "ابن خلدون" على أنه الجد

الأول لفرع "البتر" حيث كانت سلالته الأولى تقطن في البداية منطقة الأوراس، وحسب هذا المؤرخ، فإن علماء الأنساب ينسبون كل بطون الشعب البربري إلى فرعين رئيسيين هما البرنس ومادغوس (Ibn Khaldoun, 1852, p. 168)، وهذا يعني حسب الرواية أن الضريح هو مدفن للسلف الأول الذي يتسّمى المنحدرون منه باسمه، على اعتبار أن اسم "مادغيس" هو صيغة الجمع لمدغاسن، وهذا هو استنتاج بعض الباحثين أمثال "كاريت" (Carette) الذي يرى في سلالة البتر أو مادغيس هو السلف الأول الذي عمّر منطقة الأوراس (Camps, 1973, pp. 471-472)، ومن الناحية الاصطلاحية وحسب تقرير الباحث "كاهين" (Cahen)، فإن كلمة "مدغاسن" تعني "مسكنهم" أي مسكن الملوك والحكام أو المسكن المبني الدائري، وجذوره مأخوذة من كلمة دار أو دور الذي كان يستعمل للسكن والعيش وليس للدفن (Cahen, 1873-1874, p. 16)، وهناك من يقول أن كلمة "مدغاسن" هي التسمية الأبوية (Patronijimique) لعائلة بربرية قديمة، تم دفن مشترك داخل الضريح لأحفاد "مادغيس"، وقد اتفق هذا الرأي "لوكليز" (Leclerc) الذي رأى أن "امدغاسن" يمكن أن يكون قبر لعائلة أجداد "ماسينيسا" التي يعود أصلها إلى "مادغيس" (Le Colonel Brunon, 1873-1874, p. 313)، في حين رأى البعض أن "مادغيس" ما هو إلا شخصية أسطورية وهو اسم احتفظ به الزناتيون حتى بعد تعريهم، وما يؤكد ذلك حسب بعض الباحثين هو وجود الاسم في صيغة التانيث في منطقة تيارت حيث توجد قرية تحمل اسم "مادغوسة" التي تعني صيغة مفرد مؤنث معرّبة "مدغاسن"، خاصة وأن منطقة تيارت هي منطقة مدافن أمازيغية متميّزة، وفي رأي هؤلاء أن الزناتيين يحتفظون باسم سلفهم الاسطوري وهو اسم مرتبط بالمدافن والأضرحة الكبرى لأسلافهم، وأن الاسم بقي في صيغته الأمازيغية في المنطقة الأوراسية التي تحتفظ باللغة الأمازيغية، في حين تحول الاسم إلى 'مادغوسة' لدى زناتة الغرب المستعربين (عقون، 2011، صفحة 206).

ممّا لا شكّ فيه ومهما كان أصل التسمية، فإن " المدغاسن " كان ضريحاً للملك، وما يؤكد ذلك وجود البحيرة المجاورة التي أطلقت عليها البحيرة الملكية (Lacus Regius)، ولكن قد اختلف الباحثون إلى من يُعزى هذا الضريح، فهناك من يقول أنه يُنسب إلى ملك نوميديا الغربية (المائيسيسيل) وهو الملك " سيفاكس "، والبعض الآخر ينسبه إلى ملك نوميديا الشرقية (الماسيل) " ماسينيسا "، ولكن حسب الباحث " قزال " تبقى كل هذه الآراء مجرد افتراضات غير مؤكدة منها، إلا أنه من الصحيح أن صاحب هذا الضريح الضخم كان ملكاً قوياً شأنه في ذلك شأن كل الملوك النوميديين الذين بسطوا نفوذهم على مملكة مترامية الاطراف (Gsell, 1901, p. 69).

#### 4- الوصف المعماري للضريح:

لقد قدّم لنا المؤرخ " البكري " خلال القرن الحادي عشر وصفاً عاماً للمعلم الأثري " المدغاسن " على هذا النحو: « هو ضريح يشبه تل كبير ومبني بأجر رقيقة مجففة، بني على شكل منافذ عقدت بعضها البعض بالمشابك الرصاصية، تحمل بعض حجارتها كتابات ورسومات لأشخاص وحيوانات، وهو مدرج في جميع النواحي، وفي أعلاه شجرة نابته، وقد حاول الكثير هدمه، ولكن ما استطاعوا ذلك، وإلى الشرق من هذا الضريح توجد بحيرة مادغوس أين تجتمع الطيور المختلفة » (El-Bekri, 1965, p. 107)، واستناد على هذا الوصف، يمكن لنا أن نعتمد على عناصر أساسية لتقديم وصفاً دقيقاً لهذا المعلم اعتماداً على دراسات تاريخية علمية:

#### 1.4 الشكل والأبعاد:

يستمد هذا الضريح شكله العام من شكل البازينا (Bazinas) ذات القاعدة الأسطوانية وهو معلم معماري نوميدي أصيل مرتبط بعادات وطقوس الدفن التي مُورست طيلة فجر التاريخ على الخصوص في كامل شمال إفريقيا، وفي العهد النوميدي مع توفر عوامل الرقي الحضاري تم تنفيذ وتجسيد تلك المعتقدات في معالم معمارية من طراز رفيع، ويُعد ضريح " امدغاسن " نموذجاً لها (Camps, 1973, p. 482)، وتعتبر البازينا



واحدة من نماذج المدافن الحجرية، ولفظ البزينة مصطلح اصطفاه بعض علماء الآثار للإشارة إلى نوع القبور التي تعلوها بنايات مستديرة الشكل عامة، وقد تكون مدرجة حيث أنها تتكون من دوائر متتالية شاقوليا مع تقلص القطر حتى تظهر في شكل حلزوني، ويستعمل في بناء البازينا الحجارا وحيانا الحجارا والأترية معاً، كما أنها تظهر في شكل أكمام مرتفعة (غانم، 2006، صفحة 35)، وقد انتشر هذا النوع بشكل كبير في شمال إفريقيا، وفي أماكن بعيدة عن "امدغاسن" مثل بازينات عين الصفراء بولاية النعامة وجبال القصور وواد تامدة وحتى في عين الحمامة بناحية أولاد جلال، وفي جبل مستيري قرب تبسة أو حتى عند ممّر الشعبية بين بوسعادة وبسكرة، وهذه البازينات كلها مزوّدة بمصاطب أمامية تخلو من طرق تؤدي إلى الغرفة الجنائزية، كما تعتبر حسب تعبير "كامس" ما هي إلا نموذج مصغّر بدائي "للمدغاسن" الذي لا يختلف عن كل البازينات التي تعود إلى فترة فجر التاريخ لا من حيث الشكل، ولا من حيث انشاء فضاء من الجهة الشرقية الذي يتم فيه العبادة، ولا حتى من خلال طريق الوصول إلى حجرة الدفن، ولكن عوض أن يكون محاطاً بجدار من الحجر الخشن تم تزيينه بمظهر خارجي معماري (Camps, 1973, pp. 482-483)، كأن "امدغاسن" حسب تعبير البعض بازينة تلبس حلة معمارية جميلة (عقون، 2011، صفحة 211)، وهكذا تم بناء "امدغاسن" على نفس النهج الذي تم فيه بناء المدافن الموجودة في المنطقة، أي باعتماد حجارا خامة وقّرتها تلك المنطقة مع غرفة صغيرة في الوسط والتي كانت بلا شك بمثابة سرداب جنائزي، لكنه كان محاطا بواجهة من الحجر المصقول والتي تم تعزيزها بستين عمودا دوريا وإفريزا، ويعلو المبنى تاج مخروطي الشكل (Gsell & Graillot, 1894, pp. 71-72). هذا عن الشكل، أما عن أبعاد هذا الضريح، فقد لقي الباحثون صعوبات في اعطاء الأبعاد الحقيقية له، والسبب يعود إلى ما تعرض له من نهب وخراب من قبل أناس كانوا يبحثون عن الكنوز و الصفائح المعدنية التي تربط كتل الحجارا ببعضها البعض، وهذا ما أدى إلى فك عقد تلك الكتل الكبيرة وسقوطها، وخاصة حجارا الكورنيش، ممّا أدى بالباحثين المهتمين

بدراسة هذا المعلم إلى عدم إعطاء أبعاده الدقيقة (Camps, 1973, p. 478)، أو بالأحرى إعطاء أبعاد مختلفة، فعلى سبيل المثال نجد دراسة "بايسونيل" (Peyssonnel) قد حددت محيط الضريح ب 600 قدماً وارتفاع 18.60 م، في حين دراسة الباحث "بيكر" (Becker) ب 530 قدماً وارتفاع 18.35 م، ونجد المحيط عند الباحث "فاي" (Fay) قدره ب 176 م، أما عن تقرير لجنة الحفريات التي أجريت عام 1851 تحت اشراف الجنرال كاربوتشيا، فإن هذا الارتفاع سيكون 19.20 م ومحيطه 170 م، ويظهر من خلال هذه التقديرات رغم اختلافها إلا أنها متقاربة خاصة فيما يتعلق بالارتفاع، وهذا نظراً لصعوبة القياس على الأحجار ذات الحواف الحادة، أما بالنسبة لقياسات المحيط، فإنها تختلف اختلافاً كبيراً (Pamart, 1920, pp. 281 -282)، ونظراً لهذه الاختلافات سعى الباحثون الآخرون الذين درسوا هذا الضريح فيما بعد إلى بذل مجهود لإعطاء أبعاداً دقيقة أمثال "كامس" (Camps) و"بامار" (Pamart)، فكانت تقديرات "كامس" على هذا النحو: قُدِّر الارتفاع الإجمالي للضريح ب 18.50 م وهو نفس التقدير الذي جاء به "بامار"، وقطره عند أسفل القاعدة 58.86 م، أما محيطه فيتراوح ما بين 148.80 م في الأسفل و 177 م في أعلى القاعدة، ويتكون الجزء الهرمي أو المخروطي الأعلى من 23 درجة بدلا من 24 درجة متوسط علوها حوالي 0.58 م، وكان المدخل الرئيسي لهذا الضريح يوجد على مستوى الدرجة الثالثة يفتح السلم الذي يتيح الوصول إلى الرواق ومنه إلى الغرفة الجنائزية (Camps, 1973, p. 479)، ويرتفع الكورنيش من سطح الأرض ب 5.25 م بدلا من 5 امتار كما قدره الباحث " فوي " (Pamart, 1920, p. 282)، والجدول التالي يوضح الأبعاد الرئيسية " للمدغاسن" حسب تقديرات "بامار" (Pamart, 1920, p. 283)

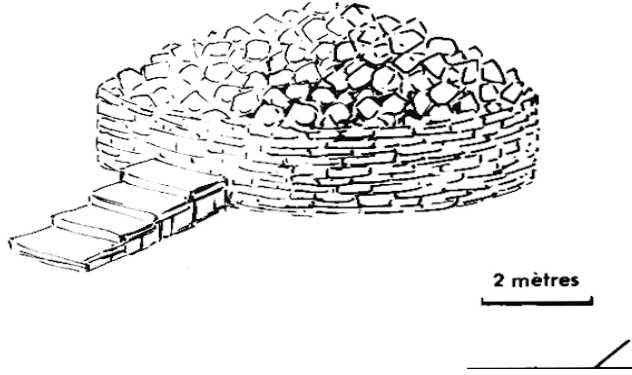
الابعاد	الشكل
177.50 م	محيط الكورنيش
18.50 م	ارتفاع المعلم
5.25 م	ارتفاع الكورنيش
13.25 م	ارتفاع الجزء العلوي المخروطي

المعلم الأثري- التاريخي النوميدي "امدغاسن" بموقع الشرق الجزائري

قطر المنصة	11.84 م
ارتفاع العمود	2.643 م
عرض الرصيف الموجود حول المعلم	4.33 م
قطر الدائرة الخارجية	63.94 م

ملحق (رقم 2): رسم يمثل "بازينة" ذات قاعدة اسطوانية بعين الصفراء وامدغاسن مزود كلاهما بمنصة لإقامة

الشعائر الجنائزية



المراجع (Camps, 1973, p. 481)

2.4- الوصف الخارجي للضريح: يضم المظهر الخارجي للضريح، القاعدة والكتلة الأسطوانية والقسم العلوي المخروطي والمبنى الأمامي، ويبدو المعلم أنه أنشأ بأكبر قدر من العناية، وهذا لدليل على حفاظه على شكله العام، فقد تشبثت الكتل بالرصاص، وتم اعداد المواصل وإعادة صقلها بدقة تامة، مما يظهر الإتساق والتطابق بين الكتل الحجرية (Camps, 1973, p. 484).

فالنسبة للقاعدة، فهي أسطوانية تحمل ثمانية مداмик، ويظهر المدماك الأول بنتوء قدره 0.53 م، استخدم كقاعدة ارتكاز ستين(60) عمودا، بجذع دائري جيد الصقل (حارش، 2013، صفحة 239)، وأعمدة "امدغاسن" من الطراز الدوري، ويبلغ ارتفاع العمود حوالي 2.65 م، وبين عمود وآخر مسافة تقدر بحوالي 2.90م، فوق هذه الأعمدة نجد العصابة(Tailloir)، وفوقها رباط الأعمدة(Architrave)، وفوق هذا الأخير تمتد

الكورنيش ذات العنق المصرية، ويمكن إدراجها في المجموعة ذات التأثير الفينيقي الممثلة في ضريح صومعة الخروب وضريح دوقة (بوذراع، 2013، صفحة 135)، وتشير التنقيبات إلى أن الضريح قد احتوى على ثلاثة أبواب وهمية (Fausse Portes) بالجهة الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية، و حسب البعض فإن هذه الأبواب مستوحاة من البناية الجنائزية البونية ذات التأثير المصري (بن عبد المؤمن، 2011- 2012، صفحة 160)، كان أول من انتبه إلى وجود هذه الأبواب هو الباحث "بيكر" عام 1854، فقد لاحظ ذلك في نتوء حجر صقيل (Moulure)، وجاء بعده "موليني" الذي أشار بوضوح إلى باب مزيف جهة الشمال الشرقي ما بين العمودين 30 و 31، وآخر جهة الجنوب الشرقي ما بين العمودين 50 و 51 (عقون، 2011، الصفحات 213- 214)، ويرى "كامس" أن هذه الأبواب مستوحاة من البنايات الدينية الفينيقية ذات التأثير المصري، وأن دورها ليس زخرفي فحسب، بل قد تكون لها دلالات شعائرية أخرى (Camps, 1973, p. 492)، أما عن الناحية العلوية للضريح، فهو على شكل مخروطي يتكون من ثلاث وعشرين (23) درجة، ارتفاع كل واحدة منها 0.58م (58 سم) وعرضها ما بين 0.97 و 0.98 م، ومن نقطة في الدرجة الثالثة نجد المدخل (حارش، 2013، الصفحات 239- 240)، وإلى الجهة المحاذية للضريح من الناحية الشرقية توجد المصطبة الأمامية أو المبنى الأمامي (L'avant-corps)، وهي مصطبة واسعة مبلطة، طولها خمس وعشرون (25) متراً وعرضها أربعة عشر (14) متراً، وقد اعتقد الباحث "فوي" حسب "كامس" أنها كانت مبنى معداً لحارس الضريح لأنها تقع بجوار مدخل السلم الذي يؤدي إلى مدخل الرواق، ولكن من الصعب تحديد غرض هذا المبنى إن كان مخصصاً للعبادة التي تصحبها أغراض دينية للطقوس الجنائزية الأفريقية أم أنها عبارة عن منصة مرصوفة أو مبلطة يلاصق أحد جوانبها قاعدة الضريح متوجهة نحو الشرق، وقد عثر عليها في قبر الرومية وكذلك في قبور لجدار بتيارت، وحسب تقرير "كاربوتشيا"، فإن المبنى يتكون من مدماكين حجريين (assises)، المدماك العلوي يتراجع ب 0.30 م من الجهات الثلاث، وكانت الأرضية مصبوغة بطلاء أحمر أو المغرة الحمراء التي لا

يزال لمعانيها يحتفظ بها الضريح، وهذا ما يؤكد على أن هذه المصطبة أعدت لممارسة الطقوس الجنائزية ، وما اكتشف ايضا في محيط الضريح مقبرة حديثة نسبياً، وقبران مغطيان ببلاطات، وهيكل عظمي دفن في وضعية جلوس (Camps, 1973, pp. 479-480).

ملحق (رقم 3):صورة توضح الشكل العام لضريح المدغاسن



المرجع: (Camps, 1973, p. 447)

### 3.4- الوصف الداخلي للضريح:

يتكون الضريح من المدخل الرئيسي، وقد تم اكتشافه خلال حفريات "كاربوتشيا" سنتي (1849- 1850)، فهو عبارة عن فتحة صغيرة مربعة من الجهة الشرقية وبالضبط على مستوى الدرجة الثالثة من القسم العلوي المخروطي، علوها 1.60 م وعرضها 0.70 م، كانت مغلقة في البداية بواسطة نظام السد الحجري ويتمثل في بلاطة تنزلق على طول حزتين عموديتين هيتنا على جانبي اطار الباب (رابح، 2007، الصفحات 79- 80)، يوجد في أعلى هذا المدخل الساكف، يحمل مزلاقاً أفقياً طوله 0.80 م، يستقبل مرتاج الغلق، فك هذا المزلاق يسارا نحو الأعلى يسمح بحركة المزلاج وضع الباب في موضعه، وإغلاقه يكفي، رصف كتل الدكة الرابعة ليختفي الباب تماما، لولا الطول الزائد للساكف 1.72 م والكتلة التي تعلوه 2.07 م مما يثير الانتباه، فضلا عن ضيق حجر البوابة بالقياس إلى باقي

كتل الدكة الرابعة (حارش، 2013، الصفحات 240 - 241)، وكان الغرض من حجب الباب حتى لا يتسنى للناس لهم العبث بالأموال ونهب أثارهم الجنائزي، وكان يسمح فقط لأفراد عائلة الميت أو المقربين منه لمعرفة سر موقع المدخل، في حالة ما إذا أرادوا الدخول إلى الغرفة الجنائزية (رابح، 2007، صفحة 80)، وبعد المدخل يوجد رواق يؤدي إليه سلم ذو 11 درجة عرضها 0.30 م و ارتفاعها 0.20 م، يتميز الرواق بانحداره طوله 1.20 م وعرضه 0.60 م، يتكون سقفه من دعائم خشبية منها ما وضع من طرف الباحثين عند اجراء التنقيبات لحماية المبنى من الانهدام، وهي من خشب شجر البلوط الأخضر والدعائم الخشبية القديمة من نوع شجر الأرز (عيشوش، 2012، صفحة 38)، وكانت أرضيته مدهونة بالجبس إلى ارتفاع ملامس لروافد السقف التي رتبت جنب بعضهما البعض على طول الرواق المقدر بحوالي سبعة عشر (17) متراً، وقد قدر عدد الروافد بحوالي خمسة وأربعين (45) رافدة، استخدمت لتغطية الرواق المؤدي إلى الغرفة الجنائزية (حارش، 2013، صفحة 241).

ملحق (رقم 4): منظر جانبي للكورنيش ذات الحلق المصري

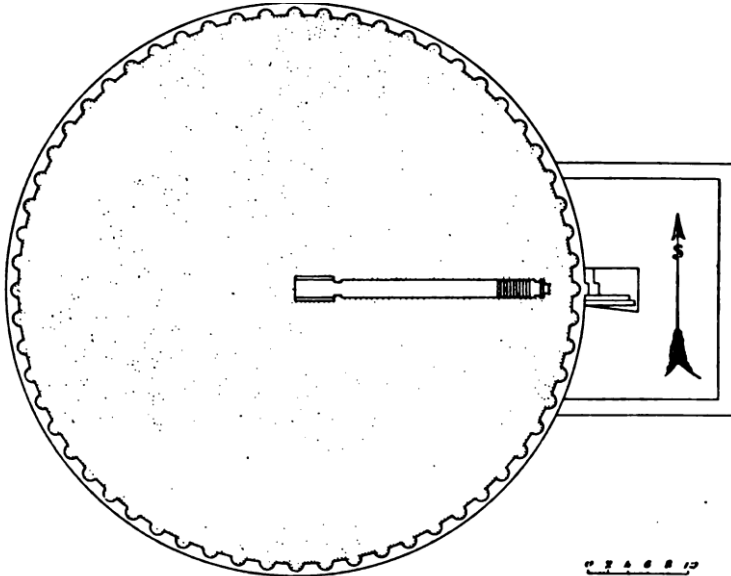


المرجع (Gsell S., 1901, p. 64)

عند نهاية الرواق، نصل إلى غرفة دفن الميت التي تقع في قلب الضريح، مدخلها عبارة عن فتحة مربعة ارتفاعها 1.70 م وعرضها 0.90 م، أما مساحتها ضيقة، إذ لا يتعدى طولها 3.30 م وعرضها 1.45 م، بُنيت جدرانها من الحجارة المصقولة، وسقفها مشكل من بلاطات حجرية، وعلى طرفها نجد مقعدين بعرض 0.20 م ووعلوها 0.30 م (حسين، 2021، صفحة 148).

والجدير بالذكر، أن هذه الغرفة كانت خالية من الأثاث الجنائزي، إذ لم يعثر الأثريون على شيء معتبر، مع أن ضريحاً بهذه الفخامة لا يمكن أن يكون خالياً من الأشياء الثمينة، وقد قام بعض الباحثين بجرد كل المعثورات، وهي كلها أدوات غاية في البساطة، ممّا يدل على أن الضريح كان محل نهب، وأن ما به من أثار قد نُهب في ظروف غامضة على امتداد القرون في منطقة معزولة بعيدة عن أي رعاية رسمية، وأكثر من ذلك كان محل أساطير شعبية تتحدث عن الكنوز التي يحتويها (عقون، 2011، صفحة 217).

ملحق (رقم 5): المخطط الداخلي للمعلم



المرجع (Gsell S., 1901, p. 66)

## 5- التأثيرات الأجنبية:

يعود إنشاء ضريح "امدغاسن" إلى النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد، وعلى الأرجح إلى بداية القرن الثالث قبل الميلاد، فبصرف النظر عن تقاليده الأصلية المحلية ظهرت فيه تأثيرات ثقافية دينية وفنية للحضارة المصرية واليونانية والبونيقية، فتظهر التأثيرات الإغريقية من خلال الأعمدة الستين (60) التي تزين المحيط، فهي من الطراز الدوري الصقلي (Berthier, 1981, pp. 172-173)، وكانت تيجان هذه الأعمدة من تيجان العمود الأيونى الإغريقي الذي يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وكانت تحتوي على حلزونيتين متصلتين بواسطة قناة تحتمها عقد ورؤد، فالقناة التي تصل بين الحلزونيتين مستديرة من أسفل عوض أن تكون مستقيمة مثل تيجان الأعمدة اليونانية السابقة للحروب الميادية، وقد بقي بعضها بقرطاجة إلى غاية تخريبها في القرن الثاني قبل الميلاد، ويوجد فوق أفاريز "امدغاسن حنية نافرة، جعله يحمل اسم "العنق المصري" (بوشناقى، 1979، الصفحات 19-20)، وكانت التأثيرات الأجنبية هذه قد ظهرت حتى في الضريح الملكي الموريطاني أو ما يعرف بقبر الرومية، فربما نفس التأثيرات التي عرفها أيضا ضريح "امدغاسن" الذي كان على منوال قبر الرومية، وإن كان يظهر مختلفاً عنه من حيث الشكل والزخرف الخارجي والهيكل الداخلي (بوشناقى، 1979، صفحة 18).

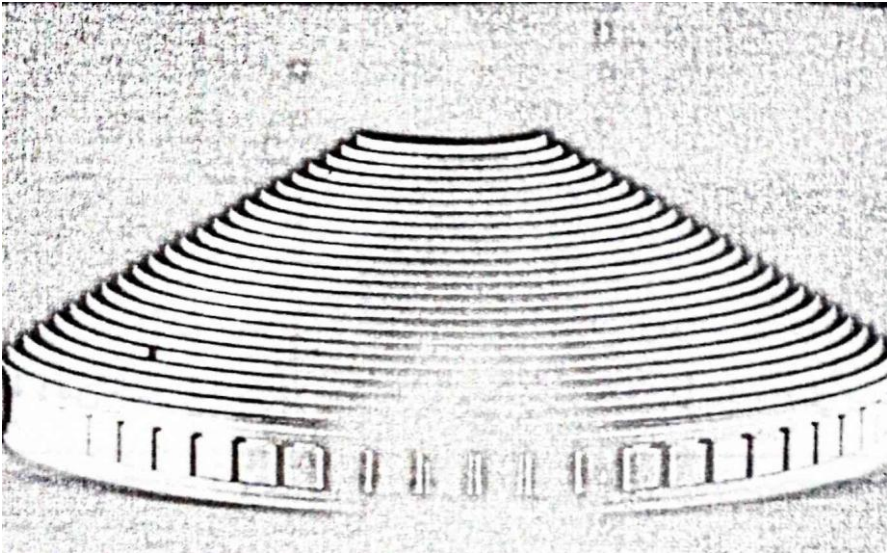
إن الهندسة المعمارية لضريح "امدغاسن" مستوحاة حسب البعض من العناصر الهلنستية التي لم يسبق لها مثيل في عمارة عالم غرب البحر الأبيض المتوسط، والدقة التي تم فيها إنشاء هذا الضريح، يشهد على أن البنائين ذوي خبرة عالية، خاصة فيما يخص طريقة ربط الكتل الحجرية بقطع معدنية من الرصاص التي يصل وزنها إلى 20 طناً، فقد أبدى الباحثون إعجابهم بالتقنية والطريقة المحكمة في ربطها، وقد تجلى التأثير الأجنبي كما سبق أن أشرنا في الأعمدة والتيجان ذات الطراز الدوري الصقلي الهلنستي، وكذلك من خلال الزخرفة المعمارية البونية (Rakob, 1983, pp. 329-330)، وهذه التأثيرات جعلت البض يقر، بأن ضريح "امدغاسن" هو الدليل الواضح على العلاقة



الوثيقة مع العالم الشرقي الهلنستي، أضفى عليه طابع أجنبي مع الحفاظ على التقاليد المحلية البربرية في ظل تأثير عناصر بونية واغريقية (Rakob, 1983, p. 331).

صحيح لا ننكر دور التأثيرات الأجنبية على المعلم الأثري الأفريقي "امدغاسن"، وهذا إن دلّ على شيء، فإنه يدل على تفتح المنطقة على جميع الحضارات القديمة، وكذلك خلق الانسجام بين ما هو محلي أصلي والعناصر الخارجية هذا من جهة، ومن جهة أخرى يؤكد على وجود مجتمعا أفريقيا متطوراً اقتصادياً، قادرا بفضل اتصاله بالعالم الخارجي على إبداع فن أصيل، وهذا بالإضافة إلى وظيفته الجنائزية، سيكون له أيضا طابعه الديني، وبالتالي يعتبر "امدغاسن" من بين المعالم الأثرية الكبرى التي حافظت على تقاليدها المعمارية الليبية(البازينة المدرجة)، مع التأثيرات البونية والإغريقية إلى جانب التأثيرات المصرية.

ملحق (رقم6): إعادة تشكيل المدغاسن خلال القرن 2 ق.م



المرجع (Rakob, 1983, p. 339)

## 6. خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة، يمكن أن نقول أن العمارة الملكية النوميديّة لم تنشأ صدفة، بل تقع في مواقع مركزية من الأراضي الملكية المختارة عن قصد، والتي تحدد المناظر الطبيعية وتهيمن عليها، فضريح "امدغاسن" أثر أفريقي مبني بطراز محلي مغطى بقميص أجنبي، فبمعنى أن الأفارقة هم الذين بنوا الضريح الملكي، كما بنوا الأضرحة الأخرى التي سميت "بازينا" مع إضافة عناصر زخرفية مستوردة من العالم الخارجي، كما يشهد هذا الضريح على أن البنائين ذوي خبرة عالية في الفن الزخرفي المنتشر آنذاك في حوض البحر الأبيض المتوسط، وتوحي ضخامته أيضا إلى وجود يد عاملة كثيرة العدد وماهرة، ولم يكن ممكنا جلبها من مناطق بعيدة.

## 7. قائمة المراجع:

أولا: باللغة العربية:

1. حسينة عيشوش. (2012, 12 31). "مقارنة بين ضريح المدغاسن والضريح الملكي الموريطاني من خلال الأبحاث والدراسات". *حوليات التاريخ والجغرافيا*, 3(6)، الصفحات 35-48.
2. سفيان بوزراع. (2013). "دراسة معمارية فنية مقارنة بين ضريح المدغاسن والضريح الملكي بتيبازة". *مجلة دفاتر البحوث العلمية*, 1(2)، الصفحات 133-147.
3. غبريال كامس. (2010). *في أصول البربر- ماسينييسا أو بدايات التاريخ*. (محمد العربي عقون، المترجمون) الجزائر: منشورات المجلس الأعلى للغة العربية.
4. لحسن رابح. (2007). *أضرحة الملوك، النوميدي والمور) دراسة أثرية وتاريخية مقارنة لأهم الأضرحة الملكية النوميديّة والمورية المشيدة منذ القرن الرابع ق.م إلى غاية عشية الفتح الاسلامي في القرن السابع م*. الجزائر: دار هومة.
5. محمد الشريف حسين. (2021). "العمارة الملكية النوميديّة دراسة مقارنة بين ضريح مدغاسن وضريح بني رنان". *المجلة التاريخية الجزائرية*, 5(2)، الصفحات 143-154.
6. محمد الصغير غانم. (2006). *المعالم الحضارية في الشرق الجزائري فترة فجر التاريخ*. الجزائر: دار الهدى.
7. محمد العربي عقون. (2011). "العمارة الجنازنية النوميديّة، ضريح مدغاسن نموذج معماري نوميدي أصيل". *مجلة أفكار وأفاق* (02)، الصفحات 203-220.
8. محمد الهادي حارش. (2013). *مملكة نوميديا دراسة حضارية، منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد*. الجزائر: دار هومه.
9. محمد بن عبد المؤمن. (2011-2012). *عقائد ما بعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم*. اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران.
10. منير بوشناق. (1979). *الضريح الملكي الموريطاني*. (عبد الحميد حاجيات، المترجمون) الجزائر: مديرية الفنون الجميلة والأثار والمتاحف.

11. Berthier , A. (1981). *La Numidie,Rome et le Maghreb*. Paris: Picard.
12. Cahen, (. (1873 -1874). le Madracen. " *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine*", 16, pp. 1-18.
13. Camps, G. (1973)." nouvelles observations sur l'architecture et l'age du Medracen,mausolée royal de Numidie". *in comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles lettres*, 117(03), 470 - 517.
14. El-Bekri. (1965). *Description de l'Afrique Septentrionale*. (Guckin de Slane, Trad.) Paris.
15. Gsell, (., & Graillot, (. (1894). "Exploration archéologique dans le département Constantine(Algérie),ruines romaines au Nord de l'Aures". *in Mélanges d'archéologie et d'histoire*, 14, pp. 17 -86.
16. Gsell, S. (1901). *les Monuments Antiques de l'Algerie* (Vol. Tome1). Paris.
17. Ibn Khaldoun. (1852). *Histoire des Berbères* (Vol. Tome 1). (Guckin de Slane, Trad.)
18. Le Colonel Brunon. (1873 -1874). "Sur les fouilles exécutées au Madras'en mausolée des rois de Numidie". *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine*, 16, pp. 303 -361.
19. Pamart, H. (1920). "Etude sur le Madracen(tembeau de Syphax) et le Kebour Roumia(tembeau de la crétienne". *revue Africaine*, 61, pp. 279 -293.
20. Rakob, F. (1983). "Architecture royale Numide". *Ecole Française de Rome*(66), pp. 325 - 348.